الفصل الثاني

رسائل إلى المتصدقين

رسائل إلى المتصدقين

قبل أن أختم هذه الرسالة المختصرة في فضل الصدقة أحب أن أبعث بعدة رسائل إلى المتصدقين، والوسطاء بين المحسنين، وآخذي الصدقة . . أذكرهم فيها بقضايا، وأنبههم على أمور لا بد من تذكرها والانتباه إليها :

الرسالة الأولى : الإخلاص.. الإخلاص :

على المتصدق أن يخلص نيته، وأن يحذر من الرياء والسمعة لأن ذلك شرك والله غني عن ذلك، كما قال ـ تبارك وتعالى ـ في الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» (١)، ولأن ذلك من مبطلات الصدقة ومن محبطات ثوابها كما قال ـ سبحانه ـ : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ**﴾ [**البقرة**: ٢٦٤]، ومعناه : «لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدحة الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة، ليشكر بين الناس، أو يقال : إنه كريم. ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية» (٢).

(١) مسلم : (٢/ ٢٢٨٩)، رقم : (٢٩٨٥)
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير : (١/ ٦٩٤).

ولا يقتصر التصدق رياءً وسمعة على إبطال الصدقة وإذهاب أجرها بل الأمر أشد وأنكى؛ إذ ذاك من مسببات العذاب، ومن مؤهلات العبد ليكون من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة إن لم يتداركه الله - سبحانه - بعفو أو توبة، يدل لذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة - وذكر ثلاثة، منهم -: رجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجه ثم ألقي في النار [1]. قال أبو هريرة: ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة» [2].

فحاسب - يا عبد الله - نفسك، وجدد نيتك، والزم الإخلاص، وإياك والسمعة والرياء فإن: «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»[3].

الرسالة الثانية: تجنب المن والأذى:

على صاحب الصدقة أن يتجنب المن والأذى في الصدقة؛ لأن

(١) أخرجه مسلم: (٢/ ١٥١٣)، رقم: (١٩٠٥).
(٢) جامع الترمذي: (٤/ ٥٩١)، رقم: (٢٣٨٢).
(٣) أخرجه البخاري رقم: (٦٤٩٩)، الفتح: (١١/ ٣٤٣).

الإسلام ما أراد بالإنفاق مجرد سد خلة، وملء بطن، وتلافي حاجة، وإنما «أراده تهذيباً وتزكية وتطهيراً لنفس المعطي، واستجاشة لمشاعره الإنسانية، وارتباطه بأخيه الفقير في الله وفي الإنسانية، وتذكيراً له بنعمة الله عليه وعهده معه في هذه النعمة أن يأكل منها في غير إسراف ولا مخيلة، وأن ينفق منها في سبيل الله في غير منع ولا من. كما أراده ترضية وتندية لنفس الآخذ، وتوثيقاً لصلته بأخيه في الله وفي الإنسانية، وسداً لخلة الجماعة كلها لتقوم على أساس من التكافل والتعاون يذكرها بوحدة قوامها ووحدة اتجاهها، ووحدة تكاليفها.

والمن يذهب بهذا كله، ويحيل الإنفاق سماً وناراً، فهو أذى وإن لم يصاحبه أذى آخر باليد أو اللسان، هو أذى في ذاته يمحق الإنفاق، ويمزق المجتمع، ويثير السخائم والأحقاد» (١)، ولذا جاء النهي عنه، والتحذير منه، فقال ـ عز وجل ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ**﴾ [**البقرة**: ٢٦٤]، قال ابن كثير في تفسيره: «فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى، فما يفي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى» (٢)، ولسيّد تعليل آخر في وجه إبطال المن للصدقة يقول فيه: «المن عنصر كريه لئيم، وشعور خسيس واط، فالنفس البشرية لاتمن بما

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٣٠٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/ ٦٩٤).

أعطت إلا رغبة في الاستعلاء الكاذب أو رغبة في إذلال الآخذ، أو رغبة في لفت أنظار الناس. فالتوجه إذن للناس لا لله بالعطاء، وكلها مشاعر لا تجيش في قلب طيب، ولا تخطر كذلك في قلب مؤمن.. فالمن - من ثم - يحيل الصدقة أذىٰ للواهب وللآخذ سواء. أذىٰ للواهب بما يثير في نفسه من كبر وخيلاء، ورغبة في رؤية أخيه ذليلاً له، كسيراً لديه، وبما يملأ قلبه بالنفاق والرياء والبعد من الله... وأذىٰ للآخذ بما يثير في نفسه من انكسار وانهزام، ومن رد فعل بالحقد والانتقام» (١).

ولهذه الخطورة جاءت النصوص محذرة للعبد من أن يكون مناناً ببره وإحسانه، ومن ذلك حديث أبي ذر - رضي الله عنه - مرفوعاً قال: «ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وفي لفظ: « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منة » (٢)، وقوله ﷺ: «وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن علىٰ خمر، والمنان بما أعطىٰ» (٣).

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) مسلم: (١/ ١٠٢)، رقم: (١٠٦).

(٣) سنن النسائي: (٥/ ٨٠، ٨١)، وقال الألباني في صحيح النسائي: (٢/ ٥٤١) رقم: (٢٤٠٢) «حسن صحيح».

فإذا كنت تريد ثواب صدقتك، وأجر إحسانك، ودخول الجنة والسلامة من العذاب، وأن يكلمك ربك يوم القيامة ويزكيك وينظر إليك نظر رضىٰ، فلا تمتن بصدقتك، ولا تتبعها بأذىٰ من قول أو فعل.

الرسالة الثالثة: عليك بصدقة السر:

إخفاء الصدقة وإسرارها أرفع لدرجة العبد، وأفضل له عند ربه من إبدائها، لأن ذلك أدل علىٰ قوة إخلاصه وأبعد له عن التظاهر والرياء والسمعة، كما أنه أستر للمتصدق عليه وأحب إلىٰ نفسه، وقد جاءت النصوص دالة علىٰ ذلك، ومنها قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٧١]، وقوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ وذكر منهم ـ: ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(١)، وقوله ﷺ: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»(٢)، وقوله ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله فأما الذين يحبهم فرجل أتىٰ قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينهم وبينه

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٤٢٣)، الفتح: (٣/ ٣٤٤).

(٢) المعجم الصغير، للطبراني: (٢/ ٢٠٥) رقم: (١٠٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٧٠٢) رقم: (٣٧٥٩).

فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه»[١].

هذا في الأصل، فإن ترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس بالمتصدق وتأسيهم به، وتنشيط ذلك لنفوسهم إلى أعمال الخير فيكون الإبداء أفضل من هذه الحيثية[٢].

الرسالة الرابعة: تصدق وأنت صحيح شحيح:

حبب المال إلى العبد، وجعل أحب ما يكون إليه، وهو في حال الصحة مؤملاً البقاء، طامعاً في الغنى، خائفاً من تقلبات الدهر وصروفه، فمتى جاهد نفسه وتغلب عليها، فسمحت بإخراج الصدقة والإنفاق في مراضي الله - تعالى - كان ذلك رافعاً للشح، ومعتقاً من ربقة الحرص والضعف والأثرة[٣]، ودليلاً على صحة النية، وصدق القصد، وقوة الرغبة في القربة ونيل الأجر، وهذا بخلاف من تيقن الموت، ويئس من الحياة، وجزم بمفارقته لماله ومصيره على كل حال إلى غيره، فلا يشق عليه التصدق وقتها، لذا كانت صدقته مفضولة بالنسبة إلى التصدق في

---

(١) المستدرك، للحاكم: (١/ ٤١٦)، وقال: «صحيح على شرطهما»، صحيح ابن خزيمة: (٤/ ١٠٤) رقم: (٢٤٥٦)، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٣٦) رقم: (٣٣٤٩)، وصححه الأرناؤوط.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/ ٧٠١)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ص (٩٦).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ١٥٩).

حال رجاء الحياة وتأمل الغنىٰ وخشية الفقر[١].

وقد جاءت النصوص حاثة علىٰ الإنفاق في حال الصحة وحب المال والحرص عليه، ومن ذلك قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ**﴾ [**البقرة**: ١٧٧]، ومعناه: أخرج المال وأعطاه وهو ضنين به، شحيح عليه، راغب فيه[٢]، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ**﴾ أي: يؤتيه وهو صحيح شحيح، يأمل الغنىٰ ويخشىٰ الفقر»[٣].

وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا**﴾ [**الإنسان**: ٨ - ٩] قال السعدي في تفسيره: «أي: وهم في حال يحبون فيها المال والطعام؛ ولكنهم قدموا محبة الله علىٰ محبة نفوسهم»[٤].

وقوله ﷺ لمن أتاه يسأله: أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح، تخشىٰ الفقر وتأمل الغنىٰ، ولا تمهل حتىٰ إذا

(١) انظر: شرح مسلم، للنووي: (٧/ ١٢٣)، فتح الباري، لابن حجر: (٥/ ٢٧٤)، فيض القدير، للمناوي: (٣/ ٥٢٥).

(٢) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي: (٣/ ٤٨).

(٣) جامع البيان، للطبري: (٣/ ٣٤٠) رقم: (٢٥٢١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: (٨٣٤)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٨/ ٢٨٨)، الجامع لحكام القرآن، للقرطبي: (١٩/ ١٢٥).

بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان»[(١)]، وقوله ﷺ: «مثل الذي يتصدق عند موته مثل الذي يهدي بعدما يشبع»[(٢)].

فبادر يا عبد الله، إلى الصدقة مغتنماً صحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وأجب نداء الله ـ تعالى ـ الذي خاطبك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ومن قبل أن يأتيك يوم تتحسر فيه على عدم الصدقة والإحسان إلى الآخرين كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

الرسالة الخامسة: جاهد نفسك وتعود العطاء:

الصدقة والبذل شاقان على النفس؛ لما جبلت عليه من حب المال والتعلق بملذات الحياة ومتعها، والسبيل لمدافعة شحها و التغلب عليها يكمن بمراقبتها، واليقظة الدائمة لكبحها والسيطرة عليها، وقيام العبد بالتعلق بما عند الله ـ تعالى ـ والتطلع إلى آفاق عليا مما هو خير وأزكى،

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٤١٩)، الفتح: (٣/ ٣٣٤)، مسلم: (١/ ٧١٦) رقم: (١٠٣٢).

(٢) جامع الترمذي: (٤/ ٤٣٥)، رقم: (٢١٢٣) وقال: «حسن صحيح»، المستدرك، للحاكم: (٢/ ٢١٣)، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٢٦) رقم: (٣٣٣٦) واللفظ له، وحسنه الحافظ في الفتح: (٥/ ٤٤٠).

كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝١٤ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [**آل عمران**: ١٤، ١٥] داعياً ـ عز وجل ـ إلىٰ أن يكون العبد مالكاً لدوافعه ورغباته، متصرفاً فيها، لا أن تكون دوافعه ورغباته مالكة له، متصرفة فيه، وإلىٰ تقوية العبد لروح التسامي لديه والتطلع لما هو أعلىٰ، ومن ثم يعرض ـ سبحانه ـ إلىٰ جوار هذه الرغبات والدوافع ألواناً من لذائذ الحس والنفس في الدار الآخرة؛ ينالها من يضبط نفسه في هذه الحياة عن الاستغراق في لذائذها المحببة ويحتفظ بقيمته وإنسانيته الرفيعة[١].

كما يكمن بتدريب النفس علىٰ البذل وتعويدها علىٰ السخاء؛ إذ الكرم إنما ينال بالتكرم والجود بالعطاء فمن لم يرب نفسه علىٰ البذل، ويستسهل السخاء لم يهن الجود عليه، ولن يستطيع التصدق بيسر وسهولة.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٣٧٣).

الرسالة السادسة : لا تتصدق وأنت كاره :

حين يخرج العبد الصالح صدقته يكن فرحاً راضياً، منشرح الصدر راضي البال؛ لأنه يخرجها بدافع الشكر لله على نعمه، ونيل مرضاته، وتحصيل محبته وإحسانه، والشعور بكونها ذخراً له يجدها في الدار الآخرة وهو أحوج ما يكون إليها إذا وقف بين يدي ربه، وحين تغيب هذه المعاني يضعف باعث الإخراج ويعظم دافع الإمساك فيكره التصدق والإنفاق في مراضي الله، ويعد ذلك مغرماً لا مغنماً لضعف رجائه لثواب ربه - سبحانه - وقلة طمعه في نيل إحسانه، وتعلقه بالحياة الدنيا وركونه إليها.

والنية هي عمدة العمل ومقياسه الصحيح [1]، ولذا أخبر - عز وجل - بأن من أسباب عدم قبول البذل من المنافقين إخراجهم لأموالهم وهم كارهون كما قال - تعالى -: ﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾.

[**التوبة**: ٥٤].

والمطلوب من العبد إدراك مقتضى كونه عبداً لله - تعالى -، ومعرفة مقدار قيمة متع الحياة الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة، وعندها سيعظم فرحه،

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٣/ ١٦٦٥).

ويتضاعف رضاه بتصدقه بماله وإنفاقه له في وجوه البر طمعاً في نيل رضا الله - عز وجل - وتحصيل رحمته وإحسانه.

الرسالة السابعة: لا تبخل على نفسك:

يظن بعض المتصدقين أنهم بصدقتهم ينفعون غيرهم، ويحسنون إلى سواهم، وهذا الظن وإن كان حقاً إلا أنه من أعظم معوقات الصدقة؛ لأن صاحبه يدخل في صراع مع شحِّ نفسه يعيقه في أحيان كثيرة عن الجود والعطاء. والسبيل لتلافي ذلك يكمن بقيام العبد بتحليل الأمر من زواياه المختلفة، وعند ذلك سيجد أنه المستفيد الأكبر، وأنه إن تصدق فإنما يتصدق على نفسه، وإن بخل فإنما يبخل على نفسه، لأن: «الخير والبر في هذه الدنيا مادة الخير والبر في دار القرار وبذره وأصله وأساسه»[(١)] كما قال - تعالى -: ﴿**وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال - سبحانه -: ﴿**هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾ [محمد: ٣٨]، والتي قال سيِّد عَقِب إيرادها: «﴿**وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ**﴾ فما يبذله الناس إن هو إلا رصيد لهم مذخور، يجدونه يوم يحتاجون إلى رصيد، يوم يحشرون

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ص (٨٢٨).

مجردين من كل ما يملكون، فلا يجدون إلا ذلك الرصيد المذخور، فإذا بخلوا بالبذل فإنما يبخلون على أنفسهم، وإنما يقللون من رصيدهم، وإنما يستخسرون المال في ذواتهم وأشخاصهم، وإنما يحرمونها بأيديهم! أجل، فالله لا يطلب إليهم البذل، إلا وهو يريد لهم الخير، ويريد لهم الوفر، ويريد لهم الكنز والذخر، وما يناله شيء مما يبذلون، وما هو في حاجة إلى ما ينفقون» [١].

ومتى استشعر العبد ذلك فإنه سيتجاوز هذه العقبة، وعندها ستكثر صدقته، ويعظم إنفاقه في محاب الله - تعالى - ومراضيه.

الرسالة الثامنة: تصدق بالحلال الطيب:

لله - عز وجل - صفات الكمال والجلال، وهو - تعالى - منزه عن النقائص والعيوب فلا يقبل - سبحانه - من عبده، ولا ينبغي أن يتقرب إليه وينفق في مراضيه إلا بما يناسبه ويليق بجلاله من الأموال الحلال، كما قال ﷺ: «لا يقبل الله - عز وجل - صدقة من غلول» [٢]، وقال ﷺ: «من جمع مالاً حراماً ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر، وكان إصره عليه» [٣]، وقال ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» [٤]،

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٦/ ٣٣٠٣).

(٢) مسلم: (١/ ٢٠٤)، رقم: (٢٢٤)، سنن أبي داود: (١/ ٤٨)، رقم: (٥٩) واللفظ له.

(٣) صحيح ابن حبان: (٨/ ١٥٣) رقم: (٣٣٦٧) وحسن إسناده المحقق.

(٤) مسلم: (١/ ٧٠٣) رقم: (١٠١٥).

وقال ﷺ: «من تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلوَّه، حتى تكون مثل الجبل»(١)، والمراد بالطيِّب هنا الحلال (٢)، قال القرطبي: «وإنما لا يقبل الله الصدقة بالحرام لأنه غير مملوك للمتصدق، وهو ممنوع من التصرف فيه، والمتصدق به متصرف فيه، فلو قبل منه لزم أن يكون الشيء مأموراً منهياً من وجه واحد، وهو محال» (٣).

وليس هذا فحسب؛ بل إن اللائق بالعبد ألاَّ يتصدق إلا بخيار ماله والطيب منه امتثالاً لقوله - تعالى -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ [**البقرة**: ٢٦٧] أي: أنفقوا من جيد ما كسبتم ومختاره (٤)، قال الطبري: «... ويعني - جل ثناؤه - بـ (الخبيث) الرديء غير الجيد، يقول: لا تعمَّدوا الرديء من أموالكم في صدقاتكم فتصدَّقوا منه، ولكن تصدَّقوا من الطيِّب الجيد» (٥).

ولما رواه عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: «دخل علينا رسول

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٤١٠)، الفتح: (٣/ ٣٢٦).
(٢، ٣) فتح الباري، لابن حجر: (٣/ ٣٢٨).
(٤) انظر: جامع البيان، للطبري: (٥/ ٥٥٥)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (١/ ٦٩٧).
(٥) جامع البيان، للطبري: (٥/ ٥٥٩).

الله ﷺ المسجد وبيده عصا، وقد علق رجل قناً حشفاً فطعن بالعصا في ذلك القنو، وقال: «لو شاء ربُّ هذه الصدقة تصدَّق بأطيب منها. وقال: إن ربَّ هذه الصدقة يأكل الحشف يوم القيامة»(١).

والظاهر أن النهي عن التصدق بالرديء جاء لأن ذلك ناشئ عن حب الدنيا والتعلق بها وضعف اليقين بوعد الله بالخلف، وخشية الإملاق ونحوها من الدوافع التي مردها إلى الشيطان كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [**البقرة**: ٢٦٨] أي: يُخوِّفكم الفقر، ويُثير في نفوسكم الحرص والشحَّ والتكالب (٢).

ولا يتوقف الأمر على مطالبة العبد بالحلال الطيب؛ إذ حثَّ الله عباده على الإنفاق في سبيله والتصدق في مراضيه بما يحبونه إن هُم أرادوا نيل البر ـ وهو جماع الخير ـ فقال ـ سبحانه ـ: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [**آل عمران**: ٩٢] أي: لن تصلوا إلى العمل الصالح وتبلغوا إليه حتى تكون نفقاتكم من الأموال التي تحبونها (٣).

---

(١) سنن أبي داود: (٢/ ١١١) رقم: (١٦٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود: (١/ ٣٠٢) رقم: (١٤١٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ٣١٢).

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/ ٥٣٦).

الرسالة التاسعة: تأمل في حال من تعطي:

يعظم أجر الصدقة بعظم منفعتها، وكثرة المستفيدين منها، وكثير من المتصدقين لا ينقصه أثناء تصدقه النية الصالحة والقصد الحسن؛ بل ينقصه البصيرة التي تريه مواطن الانتفاع الأعظم بنفقته نوعاً أو كثرةً.

ونحن في عصرٍ اتسعت فيه رقعة الحاجة وكثر فيه ـ بشكل ملفت ـ أعداد طالبي الصدقة ـ بحق وبباطل ـ مما يتطلب من المتصدقين مزيد تحري وتلمس لحاجات الناس حتى يتمكنوا من وضع صدقاتهم في يد من هو أعظم اضطراراً إليها، وأكثر استفادة منها، وعلى هيئة يجعل من نفعها متعدياً، وبحالةٍ تُكْثِر دائرة المستفيدين منها.

وقد دلَّت على مشروعية ذلك نصوص الشرع، ومنها: قوله ـ عز وجل ـ في سياق الحث على إطعام المحتاجين: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [**البلد**: ١٦] «أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة»[(١)]، وقوله ﷺ: «من نفَّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[(٢)]، وقوله ﷺ: «وإن أحب الأعمال إلى الله سرور

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: ص (٨٥٥).

(٢) مسلم: (٣/ ٢٠٧٤)، رقم: (٢٦٩٩).

تدخله على مؤمن: تكشف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً»[(١)].

ومعلوم أن معاونة هؤلاء المضطرين والتنفيس عن أولئك المعْوَزين ـ الذين تناولت الحديث عنهم هذه النصوص ـ لا يكون إلا بعد البحث عنهم، والتأمل في واقعهم، والتحري عن أحوالهم.

الرسالة العاشرة: الأقربون أولى بصدقتك:

من أحسن البرِّ وأوثقه، ومن أعظم المعروف وأولاه: تعاهد الأقارب، والإحسان إليهم، والتصدق على محتاجهم؛ لما في ذلك من تحقيقٍ لمروءة النفس، وإكرام المرء لأسرته، وصلته لرحمه، وتقويته لوشائج النسب والقربى[(٢)].

يدل لذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ**﴾ [**البقرة**:١٧٧]، وقوله ـ سبحانه ـ في سياق الحث على الإطعام: ﴿**يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ**﴾ [**البلد**: ١٥]، وقوله ﷺ: «أبدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء

(١) قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا: ص (٤٠) رقم: (٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٩٧)، رقم: (١٧٦).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١/ ١٦٠).

فهكذا وهكذا »(١)، وقوله ﷺ لامرأة ابن مسعود - رضي الله عنهما - حين أرادت أن تتصدق بحليها: «زوجك وولدك أحق مَن تصدقت به عليهم»(٢).

ولأولوية هذا الأمر وجلالته قال النبي ﷺ لأبي طلحة حين تصدق بحديقة بيرحاء، وكانت أحب أمواله إليه: « بخ، ذلك مال رائح، ذلك مال رائح، قد سمعتُ ما قلتَ فيها، وأرىٰ أن تجعلها في الأقربين. قال: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه» (٣).

وجعل ﷺ الصدقة علىٰ ذي الرحم صدقة وصلة، وأخبر بأن فاعل ذلك يستحق الثواب لأجل صلته الرحم سوىٰ ما يستحق بالصدقة، فقال ﷺ: «إن الصدقة علىٰ المسكين صدقة، وإنها علىٰ ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة» (٤)، وقوله ﷺ لامرأتين جاءتا تسألان عن النفقة علىٰ أزواجهما وأيتام في حجورهما: « لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة» (٥).

---

(١) مسلم: (١/ ٦٩٢، ٦٩٣) رقم: (٩٩٧).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (١٤٦٢)، الفتح: (٣/ ٣٨١).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٢٣١٨)، الفتح: (٤/ ٥٧٥).

(٤) المسند، لأحمد: (٢٦/ ١٦٦) رقم: (١٦٢٢٧)، صحيح ابن خزيمة: (٤/ ٧٧) رقم: (٢٣٨٥)، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٣٢) رقم: (٣٣٤٤)، واللفظ له، وصححه المحقق.

(٥) المسند، لأحمد: (٦/ ٣٦٣)، صحيح ابن حبان: (١٠/ ٥٨)، رقم: (٤٢٤٨)، وصححه المحقق.

ويتأكد فضل الصدقة على القريب إذا كان مبغضاً للمتصدق ومعادياً له، يدل لذلك قوله ﷺ: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح[١]»[٢]؛ لما في ذلك من لمِّ الشمل، وبثِّ المودة، ودفع البغض والعداوة، والبعد عن القطيعة.

وهذا الفضل للصدقة على القريب أمر أغلبي في حال تقارب الحاجة وتعدي النفع، ولا يلزم منه أن تكون الصدقة عليه أفضل مطلقاً إذ الأمر مرتبط بالمصلحة ومقدار الحاجة ومدى الانتفاع من الصدقة، ولذا نصَّ جماعة من أهل العلم على أن البعيد إذا كان أكثر حاجة أو كان التصدق عليه متعدي النفع بخلاف القريب فإن الصدقة عليه في هذه الحالة أولى وأفضل. وهذا هو الظاهر، والله أعلم[٣].

الرسالة الحادية عشرة: استثمر الأحوال والأزمنة والأمكنة التي تفضل فيها الصدقة:

تمر على العبد أحوال وأوقات يعظم فيها أجر الصدقة، ويتهيأ له الإنفاق في أماكن مباركة يضاعف فيها الثواب. ولعلَّ من الأحوال التي

---

(١) الكاشح: المبغض المعادي، انظر: التمهيد، لابن عبد البر: (١/ ٢٠٧).

(٢) المسند، لأحمد: (٥/ ٤١٦)، صحيح ابن خزيمة: (٤/ ٧٤) رقم: (٢٣٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٢٤٩) رقم: (١١١٠).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر: (٥/ ٢٥٩)، فيض القدير، للمناوي: (٤/ ٢٣٧).

يضاعف فيها أجر البذل وأعمال البر : أوقات الأزمات والمحن وشدة الجوع والحاجة، والتي حثَّ الشرع على البذل والإنفاق فيها كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد :١١ -١٤] ﴿ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي ذي مجاعة، عزيز فيه الطعام، شديد فيه شح الناس بالمال، خشية امتداد زمن المجاعة، وتعدي الحاجة غيرهم إليهم [١] . وكما في قوله ﷺ حين احتاج الناس إلى الماء : « من حفر بئر رومة فله الجنة» [٢] .

ومنها : أوقات الحوادث المخيفة كالكسوف، والأمور المهمة كالغزو، والتي جاءت النصوص بالحث على الصدقة والإنفاق فيها، ومنها : قوله ﷺ لأصحابه حين كسفت الشمس : «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبِّروا وصلُّوا وتصدَّقوا» [٣]، وقوله ﷺ حاثاً أصحابه على تجهيز جيش العسرة : «مَنْ جهَّز جيش العسرة فله الجنة» [٤]، وقوله ﷺ : «مَنْ جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا» [٥].

---

(١) انظر : جامع البيان، للطبري : (٢٤/ ٤٤٢) ، فتح القدير، للشوكاني :(٥/ ٦٣٩)، التحرير والتنوير، لابن عاشور : (٣٠/ ٣٥٨) .

(٢) أخرجه البخاري رقم : (٢٧٧٨)، الفتح : (٥/ ٤٧٧).

(٣) أخرجه البخاري رقم : (١٠٤٤)، الفتح : (٢/ ٦١٥) .

(٤) أخرجه البخاري رقم : (٢٧٧٨)، الفتح : (٥/ ٤٧٧) .

(٥) أخرجه البخاري رقم : (٢٨٤٣)، الفتح : (٤/ ٥٩).

ومن الأزمنة الفاضلة التي يُضاعَفُ فيها ثواب الصدقة: عشر من ذي الحجة، والتي قال عنها النبي ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيهنَّ أحب إلى الله من هذه الأيام العشر. فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» (١)، ومنها: شهر رمضان، والذي يصف ابن عباس - رضي الله عنهما - النبي ﷺ فيه، فيقول: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل... فإذا لقيه جبريل - عليه السلام - كان أجود بالخير من الريح المرسلة» (٢) و«وجه التشبيه بين أجوديته ﷺ بالخير وبين أجودية الريح المرسلة أن المراد بالريح: ريح الرحمة التي يرسلها الله - تعالى - لإنزال الغيث العام الذي يكون سبباً لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة، أي: فيعمُّ خيرُه وبرُّه من هو بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعمُّ الغيث الناشئة عن الريح المرسلة ﷺ» (٣).

ومن الأمكنة المباركة التي يُضاعَف فيها أجر البذل والصدقة وأعمال البرِّ: مكة، والمدينة، وبيت المقدس. وليس المقصود تأخير العبد لصدقته

(١) أخرجه البخاري رقم: (٩٦٩)، الفتح: (٢/ ٥٣٠)، جامع الترمذي: (٣/ ١٣٠) رقم: (٧٥٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري رقم: (١٩٠٢)، الفتح: (٤/ ١٣٩).

(٣) فتح الباري، لابن حجر: (٤/ ١٣٩) نقلاً عن الزين بن المنيِّر.

حتىٰ تحل تلك الأحوال والأزمان أو يقدم علىٰ تلك الأماكن؛ لأن الصدقة مشروعة في كل وقت، والمسارعة في الخيرات أفضل بلا شك، ولكن المراد الاستكثار من الجود والبذل والتصدق فيها (١).

علىٰ أنه إذا تعارض شرف الزمان أو المكان مع شرف الحال قدم شرف الحال؛ لأن الصدقة إنما شرعت لدفع الحاجة، والقاعدة: أن الفضل إذا تعلق بذات العبادة كانت مراعاته أولىٰ من الفضل الذي يتعلق بزمانها أو مكانها(٢). والله أعلم.

الرسالة الثانية عشرة: أفضل الصدقة جُهد المُقِلّ:

حرص الإسلام علىٰ توسيع دائرة البذل والتصدق، وعدم قصر ذلك علىٰ فئة الأغنياء، تربية للأمة علىٰ الثقة بالله، والمشاركة في الخير، والتعلق بالآخرة، والزهد بالدنيا وعدم الركون إلىٰ متعها، وبثاً للمودة، وتعميقاً للتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم.

وحرصاً علىٰ تحقيق هذه المعاني نجد النبي ﷺ يحث قليلي ذات اليد علىٰ الصدقة مخبراً بأن أفضلها ما كان من مقلٍّ بعد كفافه لمن يعول، وذلك حين سأله أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قائلاً: « يا رسول الله، أي

(١) انظر: مغني المحتاج، للشربيني: (٣/ ١٢١)، الشرح الممتع، لابن عثيمين: (٦/ ٢٧٣، ٢٧٤).
(٢) انظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين: (٦/ ٢٧٥).

الصدقة أفضل؟، قال: جهد المقل، وابدأ بمن تعول» (١)، ويرغبهم ﷺ في الإنفاق فيقول: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل» (٢)، ويقول ﷺ: «سبق درهمٌ مائةَ ألف، قالوا: يا رسول الله، كيف يسبق درهم مائة ألف؟، قال: رجل كان له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به، وآخر له مال كثير فأخذ من عرضها مائة ألف» (٣)، ونجده يحث أصحابه على الصدقة حين جاءه قوم حفاة عراة كلهم من مضر قائلاً: «تصدَّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، ـ حتى قال ـ ولو بشق تمرة» (٤).

ولا يعارض هذا التقعيدُ قولَه ﷺ في حديث حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ: «أفضل الصدقة ـ أو خير الصدقة ـ عن ظهر غنى» (٥)؛ لأنه ـ دفعاً للتعارض بين النصوص ـ ليس المراد بالغنى هنا الغنى الواسع، بل ما زاد على كفاية العبد نفسه ومن يعول(٦).

---

(١) المسند، لأحمد: (١٤/ ٣٢٤)، رقم: (٨٧٠٢)، سنن أبي داود: (٢/ ٣١٢)، رقم: (١٦٧٧)، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٣٤) رقم: (٣٣٤٦)، وهو حديث صحيح.

(٢) مسلم: (١/ ٧٠٣)، رقم: (١٠١٦).

(٣) المسند، لأحمد: (١٤/ ٤٩٧) رقم: (٨٩٢٩)، صحيح ابن خزيمة: (٤/ ٩٩) رقم: (٢٤٤٣)، واللفظ له، صحيح ابن حبان: (٨/ ١٣٥) رقم: (٣٣٤٧). وإسناده حسن.

(٤) مسلم: (١/ ٧٠٤)، رقم: (١٠١٧).

(٥) أخرجه البخاري رقم: (١٤٢٧)، الفتح: (٣/ ٣٤٥)، مسلم: (١/ ٧١٧) رقم: (١٠٣٤) واللفظ له.

(٦) انظر: الديباج، للسيوطي: (٣/ ١١٤)، كشاف القناع، للبهوتي: (٢/ ٢٩٩)، فيض القدير، للمناوي: (٢/ ٣٦).

وعلى القول بأن المراد بالصدقة عن ظهر غنى ما بقي صاحبها بعدها مستغنياً بما بقي معه، مستظهراً به على مصالحه وحوائجه (١)، فلا تعارض أيضاً؛ لأن ذلك باعتبار اختلاف الأشخاص وتفاوت أحوالهم في الصبر على الفاقة والشدة والاكتفاء بأقل كفاية، إذ المخاطب بحديث: «. . جُهد المقلِّ، وابدأ بمن تعول» أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ وهو من المقلين وأهل الصفَّة، فأجابه النبي ﷺ بما يناسبه ويقتضيه حاله، والمخاطب بحديث: «أفضل الصدقة ماكان عن ظهر غنى» حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ وهو من أشراف الناس وعظماء العرب وأغنيائهم؛ فخوطب بما يناسبه ويقتضيه حاله (٢).

ومعلوم أن العباد يختلفون؛ إذ منهم من رزقه الله صبراً وتحملاً لمضض الحياة وشدة المشقة، ومنهم من لو فني ما بيده كان ذلك مدعاة لفتنته وندمه على بذله وتصدقه، فيكون بذلك قد أذهب ماله، وأبطل أجره، وتعرض للفتنة، وربما صار عالة على الآخرين، ولذا نجده ﷺ لم ينكر على الصدِّيق خروجه من ماله أجمع (٣) لما علمه من صحة نيته، وقوة يقينه، وعظم صبره وقدرته على الكسب على نفسه وعياله، في الوقت الذي أبى على رجل أعتق عبداً ولا يملك غيره، إذ باعه له وأعطاه ثمنه،

---

(١) انظر: شرح مسلم، للنووي: (٧/ ١٧٦).

(٢) انظر: الديباج، للسيوطي: (٣/ ١١٤)، فيض القدير، للمناوي: (٢/ ٣٦).

(٣) انظر: البخاري ـ فتح: (٣/ ٣٤٥).

وقال له: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا» (١).

كما أنكر على رجل أعطاه ثوبين من الصدقة، ثم حثَّ النبي ﷺ على الصدقة فجاء الرجل فطرح أحد الثوبين، فصاح به ﷺ وقال: «خذ ثوبك»(٢).

فحري بالعبد غنياً كان أو فقيراً ـ مادام يجد فائضاً عن كفايته وكفاية من يعول ـ أن يتصدق، ولا يحرم نفسه من هذا الخير العميم الذي سيجده أحوج ما يكون إليه إذا قدم على ربه، نسأل الله للجميع النجاة والسلامة.

وقبل أن يجف المداد وأدع القلم: لا بد من تذكير أهل الخير والإحسان بأن بإمكانهم عبر نفقاتهم الكثيرة: إدخال كثير من التحسين والتطوير على مسيرة العمل الخيري والدعوي عبر وضع شروط ومعايير محددة للجودة؛ بحيث لا يُدعم إلا من يحققها ويلتزم بتنفيذها، وعبر الاهتمام بصرف جزء من صدقاتهم على التطوير الإداري والتأهيل

---

(١) مسلم: (١/ ٦٩٢) رقم: (٩٩٧).

(٢) سنن أبي داود: (٢/ ٣١١) رقم: (١٦٧٥)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود: (١/ ٣١٤) رقم: (١٤٦٩).

المهاري للقائمين على الأعمال الخيرية والدعوية بدلاً مما هو مشاع اليوم من اغترار كثير من المحسنين ووسائطهم بالمسميات والشعارات، وطريقة العرض، وأسلوب التسويق للمشاريع المختلفة، والمعرفة الشخصية، وقوة العلاقة وعمق التجانس مع القائمين عليها أكثر من الاهتمام بحقيقة المشاريع المقدمة ومدى الجدوى الخيرية والدعوية من إقامتها.

ولست أنكر بذلك أهمية الأمانة، والصدمات الكثيرة التي تلقاها كثير من المحسنين نتيجة اغترارهم بالأشكال، وضعف تحريهم عن طالبي الصدقة، ولكني أؤكد على وجوب مراعاة أمر آخر لا يقل أهمية عن الأمانة، وهو القوة، والتأكد من امتلاك أصحاب المشاريع للقدرة والمهارات اللازمة لتنفيذ مشاريعهم المقدمة للمحسنين بجودة - على الأقل - إن لم تكن عالية فمناسبة.

ولذا، فالمطلوب من المحسنين المزيد من التحري عن هذا الأمر، والنزول الميداني - لهم أو لوكلائهم - لمتابعة المشاريع التي يقومون بتمويلها للتعرف على مدى الانضباط الشرعي والمنهجي من قبل القائمين على المشروع على أرض الواقع، ولقياس جودة التنفيذ والتشغيل، وللبحث عن فرص ومشاريع هي أولى بالدعم، ولكن حال دون دعمها عدم قدرة القائمين عليها على الوصول إلى أهل الخير إلى مواقعهم لعرض

مشاريعهم عليهم أو عدم قدرتهم على إقناعهم بها ورقياً أو شفهياً، ومعلوم أن بعض الناس قد يكون ألحن بالحجة من بعض .

كما أن المطلوب منهم إدراك أن حوائج العباد نعم من الله ـ عز وجل ـ يسوقها إليهم، فالواجب استغلالها، وعدم التفريط فيها، وما أجمل قول عبد الله بن طاهر :

ليس في كل ساعةٍ وأوان　　　تتهيأ صنائعُ الإحسانِ

فإذا أمكنَتْ تقدمتَ فيها　　　حذراً من تعذر الإمكانِ (١)

نسأل الله ـ تعالىٰ ـ أن يستعملنا في طاعته، وأن يوفقنا لكل خير، ويصرفنا عن كل شر، إنه قريب مجيب .

وختاماً :

فقد كانت هذه الرسالة ثمرة بحث متواضع أسأل الله أن يقبلها، وأن يغفر لكاتبها وقارئها، ومن كان سبباً في نشرها، علىٰ أن ما كان فيها من صواب فهو من توفيق الله وإنعامه، وما كان فيها من خطأ فهو من النفس والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، والله أعلم .

وصلى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي : (١٣/ ٣٦٩)، رقم : (٧٢٨٦) .